

الأجر الذى فى البناء البديع وإذا نظرت إلى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا الطلب احتجت إلى صبر على التأمل ومواظبة على التدبر وإلى همة تأبى لك أن تقنع إلا بالتمام وأن تربح إلا بعد بلوغ الغاية ومتى جشمت ذلك وأبيت إلا أن تكون هنالك فقد أمت إلى غرض كريم وتعرضت لأمر جسيم وآثرت التى هى أتم بدينك وفضلك، وأنبأ عند ذوى العقول الراجحة لك وذلك أن تعرف حجة الله تعالى من الوجه الذى هو أضوأ لها وأنزله لها وأخلق بأن يزداد نورها سطوعاً وكوكبها طلوعاً وأن تسلك إليها الطريق الذى هو آمن لك من الشك وأبعد من الريب وأصح لليقين وأحرى بأن يبلغ لك قاصية التبيين.

هو هنا يبحث قضية قيم الفصاحة والبلاغة فى اللفظ أم المعنى ؟ إن تفاضيل الألفاظ بحسب الملائمة المعنوية لما بعدها.

إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ولا من حيث هى كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ... فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هى لفظ وإذا استحققت المزية والشرف استحققت ذلك فى ذاتها وعلى انفرادها. دون أن يكون السبب فى ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها فى النظم، لما اختلف بها الحال ولكانت إما أن تحسن أبداً أو لا تسحن أبداً.

الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم

ومما يجب إحكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة. وذلك أن نظم الحروف هو تواليها فى النطق فقط وليس نظمها بمقيض عن معنى ولا الناظم لها بمقتضى فى ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى فى نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضح اللغة كان قد قال «ريض» مكان ضرب لما كان فى ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضى فى نظمها آثار المعانى وترتيبها على حسب ترتيب المعانى فى النفس، فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذى معناه ضم الشئ إلى الشئ كيف جاء وافق. وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والشئ والتجوير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضى كونه هناك وحتى لو وضع فى مكان غيره لم يصلح. والفائدة فى